صورة المجزوم فيما سوى ذلك كصورة المرفوع . وانما تستمرّ العين محذوفة في مثل لا تخفَ الرجل لان حركة اللام عارضة لا لتقآء الساكنين فلا يُرَدّ المحذوف بسببها . وكذا اذا حُرّكت في القافية كما في قولهِ « يا كعبةً بسواها الطرف لم يَطُفِ » لان حركتها عارضة لا لتقآء الساكنين ايضاً بينها و بين اليآء المقدّرة بعد الرويّ كما تقرّر كل ذلك في اماكنهِ

(ستأتي البقية)

الشعر و زينة الرأس

ما زال الانسان منذ وُجد مولعاً بهذا الشعر النابت على رأسهِ يقلّبهُ على هيئاتٍ واشكال مختلفة وهو لا يدري لهُ منفعةً ولا معنى . فمنهم من كان يرسلهُ ويزعم انهُ دليل القوّة ولذلك كان يُعدّ من شارات الابطال ويُتّخذ عنواناً للحرّية و بعكسهِ الشعر القصير فانهُ كان دليل الضعف والرقّ والهوان . فكان الهنود والمصريون والعبرانيون والفرس واليونان والجرمان والقُوط يطلقون شعورهم وكذلك الرومان في مدة القرون الاربعة الاولى من تاريخهم وكان العبيد عندهم وعند اليونان يحلقون شعر رؤوسهم و بذلك كانوا يميَّزون من الاحرار

ولما كان الشعر القصير دليل الانكسار والذلّة اتخذوهُ دليلاً على الحزن والاسف الشديد فكان العبرانيون واليونان اذا رُزئوا بموت عزيز او بمصاب شامل يقصّون شعورهم وكان البحارة من اليونان والرومان اذا نجوا من غرق يقصون شعورهم كذلك ويجعلونها تقدمةً لاحد الآلهة

وقد تفننت اليونان في الشعر تفنناً غريباً فكانوا يصلحونهُ على هيئات شتى تُرَى اشكالها الى اليوم في تماثيل الآلهة التي كانوا يصنعونها منها ان يهيأ الشعر على شكل شعر الاسد فيُرفع من فوق وسط الجبهة الى الاعلى بعد فرقهِ من الوسط ويُرسَل على جانبيها وما يليهما من الصدغين فتسقط اطرافهُ فوق العارضين على شكل عُرَى ملتفَّة ويتصل بشعر اللحية بحيث يكون الوجه محاطاً من كل جانب بالشعر الكثيف . وهذه الهيئة يمثَّل بها المشتري او جوپيتّير وكذلك كل من كانوا يزعمون انهُ من ذرّيتهِ مثل اسكولاپ واسكندر الكبير وغيرهما . وكانوا يمثلون عطارد بشعر قصير مفتَّل وهركول بشعرٍ قصير جعد يشبه الشعر الذي بين قرني الثور

وقد تقدم ان الرومان كانوا قديماً يتخذون الشعر طويلا الا انهم تركوا هذه العادة نحو سنة ٣٠٠ قبل التاريخ الميلادي . واما عند الشعوب الجرمانية فلبث طول الشعر عنواناً للعزة والسيادة حتى في الاحوال الاجتماعية بحيث انهم كانو في فرنسا لعهد السلالتين الاوليين اذا خلعوا احد ملوكهم او ارادوا ان يحرموا وارثهُ الشرعي ولاية العهد يحلقون شعر رأسهِ . ولم يكن بينهم اذ ذاك من يقصّر شعرهُ سوى خدّام الدين لما في ذلك من الرمز الى العبودية الروحية التي نذروا لها انفسهم باختيارهم فكانوا لا يتركون من شعرهم الا اكليلاً ضيقاً . غير انهُ في مدة كارلوس الاصلع (في اثناء القرن التاسع) كان الناس مجاملةً للملك يحلقون كل شعر رؤوسهم ولكنهم كانوا يلبسون قلانس مفرّاة حتى اذا انقضت ايامهُ عادوا الى الشعر الطويل . وكان منهم من يلوّن شعرهُ بغير لونهِ ومنهم من يذرّ عليهِ

مسحوقاً ابيض او اشقر يتخذ الاول من ناعم النشاء يضاف اليهِ شيء من المواد العطرية والثاني من دقيق الذُرَة او الزعفران ونحو ذلك . وكان المترَفون في عهد الامبراطورية الرومانية يذرّون على شعرهم مسحوقاً من الذهب

اما اتخاذ الوَفْرة وهي الشعر المستعار فهو قديمٌ جدًّا وفي كلام اكزنيفون انها كانت مُستعمَلةً عند المادَويين والفُرس وذكر غيرهُ من مؤرخي اليونان انها كانت شائعةً عند المصريين والقرطاجيين وفي اكثر الممالك الصغرى من اعمال اليونان . واما عند الرومان فعمّ استعمالها في ايام الامبراطورية واستمرّت في القرون الاولى للنصرانية مع تشديد رؤساء الدين في تحريمها ولبثت كذلك الى القرن الثاني عشر ثم اخذت تقلّ شيئاً فشيئاً الى ان أُهمِلت بتاتاً . ولكنها عادت في القرن السادس عشر وكان فيمن استعملها رجال الدين انفسهم فلبثت شائعةً مدةً تزيد على ثلاث مئة سنة بلا معارض لكنها كانت تتبدل شكلاً وحجماً وكان منها ما هو فاحش الطول والكثافة حتى اضطرّوا ان يعقدوا خُصَلها المدلاّة منعاً لانتشارها ثم صاروا يجعلونها في اكياسٍ من حرير او غيرهِ يرسلونها على الظهر واشتدّت مغالاتهم بها حتى كانت ذوات اللون الاشقر منها تباع بثلاثة آلاف فرنك . وما زالوا يتفننون فيها على انحاء يطول شرحها الى ان بطل استعمالها قبل حدوث الثورة الاخيرة بقليل ولم يبقَ من يستعملها سوى بعض الشيوخ ممن يحافظون على العادات القديمة . واما اليوم فلا يستعملها الا من ابتُلي بصلعٍ باكر

اما عند العرب فلم نرَ ذكراً للوفرة الا في كلام صاحب الاغاني عند ذكر جميلة واخبارها قال جلست جميلة ولبست برنساً طويلا وألبست من كان عندها برانس دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصَلَع قد اتخذ وفرة شعر يضعها على رأسهِ . قال ثم دعت بثياب مصبغّة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها ودعت للقوم بمثل ذلك . انتهى المقصود منهُ . والذي يظهر من هذا الكلام الاخير ان الوفرات كانت تُصنع وتباع لان ذلك لا يمكن ان يُصنَع بالحضرة كما لا يخفى

وكان العرب في زمن الجاهلية يطلقون شعر رؤوسهم كما يؤخذ من خبر اليوم المعروف بيوم تحلاق اللِمَم وهو يومٌ كان بين بكر وتغلب فجعل بنو بكر شعارهم حلق رؤوسهم واعطوا كل امرأةٍ من نسآئهم هراوة وقربة مآء فكنَّ اذا مررنَ بجريح منهم عرفنهُ بتلك العلامة فاقبلنَ عليهِ يسقينهُ ويأخذنَ بيدهِ واذا مررنَ بجريح من بني تغلب ضربنهُ بالخشب فقتلنهُ . واللِمَم جمع لِمّة وهي الشعر المجاوز شحمة الاذن وهي فوق الوفرة فاذا بلغت المَنكبين فهي الجُمّة . وفي البخاري حدّثنا اسحق . . حدّثنا أنس عن النبيّ (ص) انهُ كان يضرب شعرهُ منكبيهِ . وفي ابن خلكان في ترجمة الحجاج بن يوسف ان عمر بن الخطاب (رضه) طاف ليلة في المدينة فسمع امرأة تنشد في خدرها

هل من سبيل الى خمر فاشربها　　　ام من سبيل الى نصر بن حجّاجِ

فقال عمر (رضه) لا ارى في المدينة رجلا تهتف بهِ العواتق في خدورهنَّ عليَّ بنصر بن حجّاج فأُتي بهِ فاذا هو احسن الناس وجهاً واحسنهم شعراً .

فقال عمر عزيمةٌ من امير المؤمنين لتأخذنَّ من شعرك فاخذ من شعرهِ فخرج لهُ وجنتان كانهما شِقتّا قمر فقال اعتمّ فاعتمّ ففُتن الناس بعينيهِ . فقال عمر والله لا تساكنني ببلدةٍ انا فيها ونفاهُ الى البصرة

لكن يؤخذ مما تقدم ان العرب كانت تأخذ من اطراف شعرها فلا يتجاوز المنكبين والى هذا الاشارة في الحديث لعن الله المجمّمات قال في النهاية هنَّ اللواتي يتخذنَ شعورهنَّ جُمّةً تشبهاً بالرجال . على انهُ ربما اتخذ الرجل منهم عقيصتين وهما الضفيرتان يرسلها عن يمينٍ وشمال وربما جمع شعرهُ وعقدهُ في قفاهُ وهو التجمير . واما حلق الرؤوس فلم يكن مألوفاً عندهم ولم نقف على الزمن الذي بدأوا يحلقون فيهِ بعد الاسلام لكن لا ريب ان اطلاق شعر الرأس كان باقياً الى زمن العباسيين كما يُتناول من خبر جميلة وابن سريج حتى كان من اصيب منهم بالصلع يتخذ الوفرة

واما لباس الرأس فكان العرب يلبسون العمائم واستمرّت هذه العادة بعدهم في الاسلام الى يومنا هذا الا في الاندلس فقد جآء في نفح الطيب للمَقَّري ما صورتهُ . واما زيّ اهل الاندلس فالغالب عليهم ترك العمائم لا سيما في شرق الاندلس فان اهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليهِ الا وهو بعمامة . ولقد رأيت عزيز بن خطاب اكبر عالمٍ بمَرْسِيَةَ حضرة السلطان وهو حاسر الرأس وشيبهُ قد غلب على سواد شعرهِ . واما الاجناد وسائر الناس فقليلٌ منهم من تراهُ بعمّة في شرق او في غرب . وابن هود الذي ملك الاندلس في عصرنا رايتهُ في جميع احوالهِ ببلاد الاندلس وهو دون عمامة وكذلك ابن الاحمر الذي معظم

الاندلس اليوم في يدهِ . قال واكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان الا انهُ لا يضعهُ على رأسهِ منهم الا الاشياخ المعظمون وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً والصفر مخصوصة باليهود ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة والذؤابة لا يرخيها الا العالم ولا يصرفونها بين الاكتاف وانما يسدلونها من تحت الاذن اليسرى

وفي خطط المقريزي كان رجال الدولة الجركسية في مصر من الامرآء والمماليك والاجناد يلبسون الطواقيّ بغير عمائم ويمرّون كذلك في الشوارع والاسواق وكانت هذه الطواقي ما بين احمر واخضر وازرق وغير ذلك . وكانت اولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويُعمَل اعلاها مدوّراً مسطحاً وفي زمن الملك الناصر كان نوعٌ منها يُعرَف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية نحو ثلثي ذراع واعلاها مدور مقبَّب . وكان الرسم في الدولة التركية ان السلطان والامرآء وسائر العسكر يلبسون على رؤوسهم كُمّةً يسمونها بالكلوتة[1] صفرآء اللون مضرَّبة تضريباً عريضاً ولا عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاّة في كيس حرير احمر او اصفر ويسمون ذلك الكيس بالدفّوقة . انتهى تحصيلاً

واما النسآء فكانت اليونانيات منهنّ يمشطن شعرهنّ مشطاً بسيطاً وكذلك الرومانيات الى عهد الامبراطورية وهو الزمن الذي انتقلت فيهِ المملكة الى الترَف والزينة فاخذنَ يهيئنهُ على هيئاتٍ يطول وصفها لكثرتها وتنوُّع اشكالها كما يظهر من التماثيل الباقية لهذا العهد . وكثر

(١) لعلها تعريب calotte

تفنُّنهنَّ بعد ذلك عصراً بعد عصر الى ان بلغنَ اقصى مبلغ من الغرابة والهُجنة كما ترى في الشكل الاول وفيهِ رسم ضربٍ من الكمام (جمع كُمَّة وهي في الاصل القلنسوة المدوَّرة والمراد بها هنا كل ما يُلبَس على الرأس) اصطلحنَ عليهِ في القرن الرابع عشر لهُ جناحان فاحشا الكبر يذهبان عن يمين وشمال ويعمّ الرأس كلهُ الى نقرة القفا فلا يظهر معهُ شيءٌ من الشعر ويُعرَف في لغتهم بالقرون ... (Cornes) . ثم انهُ في سنة ١٤٢٨ ظهر نوعٌ من الطرطور وصلنَ به الى حدّ فاحش في الطول

(ش ١)

كما ترى في الشكل الثاني حتى كان ارتفاعهُ احياناً يبلغ الى متر وكنَّ يغطينهُ بملاءَة تطيلها نساء الامراء حتى تجرّ على الارض وتجعلها نساء الاشراف الى العقِبَين ونساء العامة الى الخصر . وهو اشبه شيءٍ بالطرطور اللبناني الذي كان مصطلحاً عليهِ الى اواسط القرن الماضي الا ان الطرطور اللبناني لم يكن يزيد طولهُ على نصف متر . ولبث هذان الزيّان الى آخر القرن الخامس عشر ثم أُهملا فكنَّ بعد ذلك يلبسنَ قُبَّعات متطأمنة ولبثنَ على ذلك الى اواخر القرن السابع عشر . واتفق في سنة ١٦٨٠

(ش ٢)

ان مادام دُفونتانج خرجت الى نواحي فُونتنبلو فهبت ريحٌ شديدة ضربت شعرها فتشعث وانتقضت مِشطتهُ فشدّتهُ بشريطةٍ جعلت

عقدتها الى الامام وسقط طرفاها على جبهتها فلما كان الغد اذا كل نسآء البلاط بشرائط وسمي هذا الزيّ بالفُونتانج . ثم اخذنَ يتفنَّنَّ فيهِ ويزدنَ عليهِ حتى صار اشبه بالطرطور فكنَّ يتخذنَ عدداً كبيراً من اسلاك الصُفر الطويلة ويعقدنها بالشرائط ثم يزيّنها بكل نوع من الحلي والزخارف ويجعلنَ ذلك كلهُ فوق اعلى الجبهة وكان طول الفونتانج يبلغ من نصف متر الى متر فما فوق

ثم انهُ في مدة لويس السادس عشر عادت الكمام العالية ولم تلبث ان أُفرط فيها افراطاً عجيباً فكانت ازيآء الشعر تتبدل على ما لا يُحصَى من الاشكال والهيئات وكان رأس المرأة يُرى تارةً كأنهُ قطعةٌ من حديقة ذات ازهار واطيار وتارةً اشبه بحانوتٍ يتضمن نوادر الطُرَف والمصنوعات. ومن اغرب ما وصل اليهِ تفنهنَّ انهُ في سنة ١٧٧٨ حدثت واقعةٌ بين الفرنسيس والانكليز فازت فيها احدى بوارج الفرنسيس المسماة بَلّ پُول فكنَّ يصطنعنَ بوارج صغيرة على شكل البارجة المذكورة يضعنها على رؤوسهنَّ ويشبكنها باسلاكٍ من الحديد بعد ان يهيئنَ الشعر تحتها على شكل بحر ذي امواج كما ترى في الشكل الثالث

(ش ٣)

وبين كل ذلك ضروبٌ لا تُحصى من الازيآء اجتزأنا عن ذكرها خوف الملل كما اضربنا عن ذكر ما يختص من ذلك ببعض الامم البعيدة كأهل الهند والصين واليابان وغيرهم لانا لو شئنا ان نتتبع كل ما جآء من

هذا القبيل لطال بنا القول الى ما لا تحتملهُ هذه العجالة . على ان هذه الأزياء لا تزال تتجدد على الايام بحيث انهُ لو اخذ كاتبٌ في وصف الازياء الحاليّة وحدها لاستغرقت مجلداً كبيراً بل لما انتهى فيها الى حدٍ يقف عندهُ لاننا كل يومٍ في زيّ جديد

متفرقات

الطب المصري القديم — عثر البروفسور رَيسنَر في الدير البحري وهو الموضع الذي كانت قائمةً فيهِ مدينة ثيبة على صحيفةٍ من البَرديّ بعث بها الى كليّة كاليفُورنيا وقد استُفيد منها مع ما تقدَّمها من المعلومات الاثرية زيادة بيان في معرفة ما كان عليهِ الطبُ القديم في مصر . والذي يظهر من جملتها انهم كانوا يذهبون الى ان الامراض تنشأ عن طائفٍ من الجنّ اوعن روحٍ خبيث يدخل جسم الانسان وكانوا يعالجونها بالرُقَى السحرية . الا انهم مع ذلك كانوا يستخدمون المعالجات الدوائية واكثرها مما تصفهُ العجائز من موادّ طبيعية او مصنوعة فيعتمدون منها ما ثبت نفعهُ بالتجربة . فكانوا يستعملون خلا العقاقير النباتية المعادن السحرية او غيرها واللحم الحيّ من قلبٍ او كبد او مرارة والدم العبيط وشعر الأيّل او قرنهُ ولبن المرأة ورجيع الاسد ودماغ السلحفاة وغير ذلك وهم يعزون استنباط هذه الادوية الى الآلهة او الى ملوك السلائل الاولى . على ان المصريين كانوا ملمّين بمعرفة بعض الحقائق الطبيّة وكانوا على بيّنةٍ من دورة الدم